التفسير اللغوي الاجتماعي لألفاظ غريب القرآن
- كتاب المفردات للراغب الأصفهاني أنموذجا –

The Sociolinguistic Interpretation of Strange Words in the Quran
-Ragheb Al-Isfahani'sAl-Mufradat book as a model-

وفاءسلاطنية* د / يوسف نجعوم
جامعة أم البواقي،(الجزائر) جامعة أم البواقي،(الجزائر)
مخبر الانتماء: تعليمية اللغة العربية والنص الأدبي في النظام التعليمي الجزائري -الواقع والمأمول-
wafa.slatnia@univ-oeb.dz youcefnedjaoum@hotmail. fr

تاريخ الارسال: 2024-03-19	تاريخ التقييم:2024-06-28	تاريخ القبول:2024-07-06

الملخص:

اهتم الكثير من العلماء المسلمين القدامى بتفسير القرآن الكريم ؛ لغرض الوصول إلى الفهم الدقيق لمعانيه، فألفوا في ذلك كتبا كثيرة ، تعد في عصرنا مراجع هامة في التفسير وإرثا ثقافيا وعلميا للباحثين والدارسين. نجد من هذه الكتب كتاب (المفردات) للراغب الأصفهاني الذي اعتمد فيه على المنهج اللغوي والاجتماعي ؛ لدراسة وتفسير مفردات غريب القرآن، فما هي الأدلة اللغوية والاجتماعية التي اعتمد عليها المفسّر لاستكشاف الفهم المحتمل لمعانيها؟ وإلى أي مدى وفق في تحليلاته؟ هذا ما نهدف إلى توضيحه ، من خلال اعتمادنا على المنهج الوصفي التحليلي.

- **الكلمات المفتاحية :** التفسير اللغوي الاجتماعي؛ ألفاظ غريب القرآن؛ كتاب المفردات؛ الراغب الأصفهاني.

- Abstract :

Many Muslim scholars have been interested in interpreting the Holy Quran to reach an accurate understanding of its meanings, so they have written many books that are important references in interpretation in our time, and a cultural and scientific legacy for researchers and scholars. From these books we find the Quran-Ragheb Al-Isfahani'sAl-Mufradat book in which he relied on the linguistic and social methodology to study and interpret the vocabulary of the Qur'an, so what are the linguistic and Social evidence that the interpreter relied on to explore the possible understanding of its meanings And to what extent did he comply with his analysis This is what we aim to clarify, through our reliance on the descriptive-analytical approach.

Keywords: sociolinguistic interpretation; Words foreign to the Quranal-mufradat book;Raghib al-Isf

*المؤلف المراسل:

1.المقدمة:

حظي اللفظ القرآني بأهمية كبيرة لدى العلماء المسلمين القدامى ، ويدل على ذلك ما خلفوه من أعمال في تفسير المفردات، ولنذكر منها على سبيل المثال: "غريب القرآن" لابن قتيبة(ت276ه) و"تحفة الأريب" لأبي حيان الأندلسي(ت745ه)، وكتاب "المفردات في غريب القرآن "للراغب للأصفهاني(502 ه). لقد تعددت هذه التفاسير واختلفت باختلاف رؤية المفسر في شرح مفردات كتابه، فمنهم من بحث في اشتقاق الصيغ وتراكيب الجمل ، ومنهم من اهتم في البحث عن دلالة اللفظ من الناحية اللغوية والاجتماعية كما فعل الراغب في كتابه ؛ فقد نظر إلى اللفظة الغريبة من منظورين مترابطين: النظر اللغوي والنظر الاجتماعي، وهذا ما نحاول توضيحه في هذه الورقة البحثية بأسئلة جوهرية مفادها: **ما هي المنهجية المعتمدة عند الراغب في تفسير المفردات؟ وأين تجلت الرؤية الاجتماعية عنده أثناء شرحه للمفردة الغريبة؟وإلى أي مدى وفق الراغب في توضيح معاني مفردات غريب القرآن بربطها بالسياق** ؟ هذه أهم الإشكالات الأساس والتي تهدف إلى استقصاء البعد اللغوي الاجتماعي ;لتفسير اللفظة عند الراغب وإثبات أن التفسير (اللغوي الاجتماعي) اعتمده القدامى ، وإن لم يعرفوه كالمصطلح الحديث في دقة مفاهيمه وتعدد نظرياته ، إلا أنهم استخدموا آلياته أثناء تقصيهم للمعاني المختلفة للفظة الغريبة . معتمدين في هذه الدراسة على ما جاد به المنهج الوصفي التحليلي في رصد الألفاظ ذات البعد (اللغوي الاجتماعي) في كتاب المفردات للراغب الأصفهاني، خاصة وأن المنهج الوصفي يتميز بقدرة كبيرة على تفصيل المقارنات المختلفة بين تلك الظواهر المعنية بالدراسة ، واكتشاف الفروق والتشابهات بدقة. لقد تميز بحثنا هذا بتعدد المراجع سواء ما تعلق بالمراجع والمصادر العربية الأصلية، أوالمترجمة،في خطة بحثية مكونة من مبحثين أحدهما: نظري والآخر تطبيقي: المبحث الأول متعلق بوصف المنهج المتبع في تفسير المفردات للراغب الأصفهاني تناولنا فيه مفهوم مصطلح غريب القرآن ، فتعريف موجز بصاحب الكتاب والكتاب،أما المبحث االثاني الموسوم باللسانيات الاجتماعية في معاجم غريب القرآن بحثنا فيها التفسير اللغوي الاجتماعي في كتاب المفردات.بما فيه من **الدلالة** الاجتماعية والازدواجية اللغوية و التعدد اللغوي ، لنختم الورقة البحثية بمجموعة من النتائج هي محصلة لهذه الدراسة .

1-التعريف بغريب القرآن:

1-1مفهوم غريب القرآن الكريم:

غريب القرآن من أول الدراسات التي صنف فيها العلماء، وهو يعنى ببيان مفردات القرآن، وفيما يلي بيان للمقصود بالغريب في اللغة ثم بيان المقصود باصطلاح غريب القرآن.

التعريف بغريب القرآن لغة نجد وصف لفظة [غريب] على وزن [فعيل] من مادة [غ ، ر ، ب] فيقال: "تكلم فأغرب إذا جاء بغرائب الكلام ونوادره، وتقول: فلان يعرب كلامه ويغرب فيه، وفي كلامه غرابة، وغرب كلامه، وقد غربت هذه الكلمة ؛أي غمضت فهي غريبة"[1]، في حين نجدها في لسان العرب عند ابن منظور" الغريب: الغامض من الكلام، وكلمة غريبة، وقد غربت، وهو من ذلك."[2]وعليه نستنتج أن المعنى المشترك لغريب هو الغموض والإبهام .

أما اصطلاحا فقد وضحه بشيء من التفصيل الإمام أبو حيان الأندلسي في قوله: "لغات القرآن العزيز على قسمين: قسم يكاد يشترك في معناه عامة المستعربة وخاصتهم، وقسم يختص بمعرفته من له اطلاع وتبحر في اللغة العربية، وهو الذي صنف أكثر الناس فيه، وسموه غريب القرآن" [3]،أما الشهري فقد وضح معناه بمقارنة بين المفردات القرآنية في مستويات الوضوح والغموض وقلة الاستعمال في قوله : "فألفاظ القرآن الكريم ليست على درجة واحدة من حيث الوضح المعنى وغموضه. والتعريف المختار لغريب القرآن هو: الألفاظ الغامضة في القرآن لقلة استعمالها عند قوم معينين في حقبة محددة من الزمن."[4] ،ويذهب الرافعي في توضيحه لغريب مفردات القرآن رأيا - نراه - أكثر صوابا واعتدالا وتقويما في قوله: "في القرآن ألفاظ اصطلح العلماء على تسميتها بالغرائب، وليس المراد بغرابتها أنّها منكرة أو نافرة أو شاذة فإنّ القرآن منزّه عن هذا جميعه، وإنّما اللفظة الغريبة ههنا هي التي تكون حسنة مستغربة في التأويل، بحيث لا يتساوى في العلم بها أهلها وسائر الناس"[5]

من خلال ما تطرقنا إليه نستنتج أن غريب القرآن: هو العلم الذي يتناول تفسير الكلمات القرآنية، التي يخفى معناها على بعض الناس ، أو يصعب إدراك المراد منها، وتحتاج إلى توضيح لمعانيها، بما في المأثور من لغة العرب.

1-2تفسير غريب مفردات القرآن الكريم :

بدأت الدراسات اللغوية عند العلماء المسلمين مبكرا ، سواء أكان ذلك في تفسير وفهم القرآن الكريم ، أم في جمع مفردات اللغة العربية ومعانيها ؛ حتى يتمكنوا من استنباط أحكام التشريع لمختلف مناحي حياتهم في المعاملات والعبادات ؛ إلا أنهم وجدوا ذلك القدر من الألفاظ الغريبة من مفردات القرآن الكريم ؛ لتصبح موضوعا للدرس والبحث , وجزءا من علم التفسير والتأويل ، فكان من أوائل العلماء القدامى عناية بتفسير وتدبر وفهم مفردات القرآن الكريم، الراغب الأصفهاني من خلال كتابه "المفردات" والذي سنتناول بحثه من خلال ترجمة لصاحبه الراغب الأصفهاني، ثم بكتابه المفردات في غريب القرآن

1-3-ترجمة موجزة "الراغب الأصفهاني ":

هو الحسين بن محمد بن المفضل المعروف **بالراغب الأصفهاني** أبو القاسم المتوفي سنة سنة 502 هـ /1108 م.[6] ،أديب ،إمام من حكماء العلماء ،اشتهر بالتفسير ،واللغة ،أصله من أصفهان ،وعاش ببغداد[7] ،وهو" من أئمة السنة ،واشتهر حتى كان يقرن بالإمام الغزالي . وقد خلف الراغب تراثا كبيرا من المؤلفات ، فهو قد عاش في القرن الرابع الهجري وهو قرن الازدهار العلمي ،والنهضة العلمية "[8] .ومن أهم مؤلفاته "محاضرات الأدباء"، "الذريعة إلى مكارم الشريعة"،ا"لأخلاق" ويسمى "أخلاق الراغب"، "جامع التفاسير"،"المفردات في غريب القرآن" :وهو من أهم الكتب المفسرة لألفاظ القرآن ،وهو موضوع بحثنا،"حل متشابهات القرآن"، "تفصيل النشأتين في الحكمة وعلم النفس" ،"تحقيق البيان في اللغة والحكمة" ،"كتاب في الاعتقاد" ،"أفانين البلاغة" . ومن هذا التعريف تمكنا من تحديد الزمان والمكان الجغرافي ، لدراسة العينة المراد تحليلها كتاب "مفردات غريب القرآن" ، فماهو كتاب "المفردات"؟ وماهي مضامينه ،وما هو المنهج الذي اعتمده المفسر في دراسته ؟

1-4- التعريف بكتاب "المفردات":

ترك الراغب مؤلفات كثيرة ،أهمها "المفردات في غريب القرآن" ، وهو معجم كامل للألفاظ القرآنية الذي يحتوي على ثروة لغوية نفيسة، محررة ،ومرتبة ترتيبا ألفبائيا ،يفيد عموم الباحثين في العلوم الإسلامية والعربية،والكتاب يقع في مجلد واحد، عدد صفحاته 732.

نجد في بدايته مقدمة المؤلف تكلم فيها عن عظمة القرآن الكريم ، وأنه مصدر النور و الهداية للناس كافة ،ولكن ليس كل الناس مؤهلون للنهل من معينه الذي لا ينضب ، بل لابد

من صفاء القلب ونقاوة النفس من كل الأمراض .ثم نبه إلى أن " أول ما يحتاج أن يشتغل به من علوم القرآن اللفظية تحقيق الألفاظ المفردة ؛ فتحصيل معاني مفردات ألفاظ القرآن في كونه أوائل المعاون لمن يريد أن يدرك معانيه..."[9] ، فهو إذن يؤكد على أهمية معرفة مفردات القرآن ؛ لإدراك معاني كلام الله ،ثم تحدث عن المنهج الذي اتبعه في تأليف كتابه فقال "وقد استخرت الله تعالى في إملاء كتاب مستوفى فيه مفردات ألفاظ القرآن على حروف التهجي ، فنقدم ما أوله الألف ثم الباء على ترتيب حروف المعجم معتبرا فيه أوائل حروفه الأصلية دون الزوائد..." [10].إذا راعى في ترتيب معجمه على الترتيب الألفبائي بعد تجريد المفردة من زوائدها ،مراعيا التدرج في حروف الكلمة الأصلية ،ثم يبين معاني تلك المفردة ويفسرها تفسيرا شاملا ، ويذكر المفردات الواردة في القرآن الكريم التي لها صلة بتلك المفردة ، فمثلا:" كلمة (حق) يستعرض جميع مفردات هذه الكلمى من الآيات المختلفة التي ينبني على ذكر تلك الكلمة فيها اختلاف عن معنى سابق لها،ويشرح معاني تلك الكلمات شرحا وافيا ، وربما ذكر فوائد واستنباطات لغوية وتفسيرية وعقدية وفقهية ، وبأسلوب سهل ميسر محبب لكل راغب في العلم والمعرفة."[11].

نجد أبرز خصائص هذا الكتاب ،"أنه راعى فيه المشتقات ودوران اللفظ في الآيات المختلفة،وتحري المعاني الصحيحة ، فهو يبين وجوه من المعاني الصحيحة يمكن حمل الآية على أحدها بما لا يتعارض مع المعنى المراد ،الاهتمام بالأضداد ،قواعد كلية :فكثيرا ما يورد الراغب أثناء شرحه لبعض الكلمات قواعد كلية استخلصها من تتبع الاستعمال القرآني للكلمة مثل ، كل موضع ذكر فيه لفظ (تبارك)فهو تنبيه على اختصاصه تعالى بالخيرات .قواعد أكثرية :وفي بعض الأحيان ينص الراغب على بعض القواعد بأنها الأكثر في الاستعمال ، لينفي عنها صفة الكلية مثل :أكثر ما ورد (السعي)في الأحوال المحمودة ، وأكثر ما ورد (الخوض)في القرآن فيما يذم الشروع فيه "[12] يتميز هذا الكتاب بالثراء الفكري حيث " ضمنه أقوال الفلاسفة و المناطقة وأهل الكلام والحكماء محاولا الاستفادة من آرائهم الفكرية في إظهار الدلالة المطلوبة للفظ معتمدا منهجهم العقلي من أجل الإقناع مضيفا إليه منهج النقل عن الصحابة والتابعين والسلف الصالح الذي جعله أصلا في إثبات الدلالات

اللفظية لمفردات القرآن ،والتمييز بين معانيها الحقيقية والمجازية ،وإيراد الفروق بين المعاني الدقيقة ."[13]

الكتاب لا يحتوي على فصول ولا مباحث ،وذلك راجع لنوعية الكتاب التي تفرض ذلك كونه معجم ؛ لذلك نجد بعد المقدمة مباشرة كتاب حرف الألف ، وحشاه بالكلمات التي تبدأ بحرف الهمزة ثم رتبها داخل الباب،مراعيا ترتيب الحرف الأول ، ثم الثاني ،ثم الثالث ،ثم ثنى بكتاب الباء ،ثم بكتاب التاء ،وهكذا إلى كتاب الياء ،وذيله بفهرس تكمن القيمة العلمية للكتاب في اهتدائه إلى مفاتح النص القرآني ،وهي مفرداته التي لا يستغني عنها مشتغل بكتاب الله تعالى،فامتلاك المفاتيح وضبطها يسهل عملية الولوج ومن دخل في كتاب الله بعقله وفكره واهتدى ،ومن اهتدى عاش حياة طيبة ملؤها السعادة والهناء ،كما تتجلى أيضا قيمته في شرحه لمفردات ألفاظ القرآن شرحا يفي بالغرض من غير إفراط وتفريط،بحسب سياقها في الآية ،وسهولة البحث عن مفردات الألفاظ القرآنية ،ومعرفة معانيها بيسر وسهولة لا تباعه طريقة الترتيب الألفبائي المعمول بها في وقتنا الحالي

ولقد أشاد العلماء بكتاب المفردات فقد قال عنه أحمد حسن فرحات في كتابه معاجم المفردات-موازنات ومقترحات-"يكاد يجمع علماء الأمة وأعلامها على أن كتاب "مفردات ألفاظ القرآن "للراغب الأصفهاني يأتي في المرتبة الأولى من الكتب الكثيرة المؤلفة في هذا الموضوع، فليس هناك مؤلف في علوم القرآن، أو دارس أو مفسر أو كاتب –بعد الراغب الأصفهاني- إلا ويشعر بالإجلال والإعجاب لهذا العمل العظيم الذي يعد بحق نقلة كبيرة في ميدانه، ومنعطفا هاما في تاريخ معاجم المفردات القرآنية"[14]

ولقد طبع هذا الكتاب طبعات عديدة "فقد طبع بالمطبعة الخيرية بالقاهرة ، عام 1322ه، وبالمطبعة الميمنة عام 1324ه، وبمطبعة مصطفى البابي الحلبي ،بتحقيق محمد سيد كيلاني سنة1961م"[15]، وبطبعة مصطفى الباز ، سنة 1997، وأحسن طبعة تعود لمطبعة دار القلم بالدار الشامية ، بتحقيق صفوان عدنان داوودي، عام2009م

2-اللسانيات الاجتماعية في معاجم الغريب:

إن حضارتنا العربية، كانت منذ القدم تسعى إلى تخطيط نظامها اللغوي وتحديده، وقد ظهر ذلك واضحا عند علماء اللغة والمعجمات ؛ إذ أن عملهم اللغوي سار على وفق خطوات مترابطة ومتعاقبة ، فنلحظ خطوة على هدى المعجم، وخطوة أخرى على هدى التقعيد،

والتصنيف النحوي ، وثالثة على هدى التهذيب اللغوي، وكل ماسلف ذكره ينضوي تحت التخطيط اللغوي؛والذي يعد من أهم مجالات اللسانيات الاجتماعية أو علم اللغة الاجتماعي. والمعجمات هي خزائن اللغة وكنوزها التي يستمد منها الانسان ما ينمي حصيلته اللغوية ويطورها، وتظهر المعجمات العلاقات الوثيقة التي تربط بين استعمال اللغة وشكلها من جهة وبين تطور المجتمعات وبنياتها من جهة أخرى، فالكلمات والأساليب التي نستعملها، تظهر بنيات اجتماعية محددة وهذه الخاصية التي يختص بها المعجم، فالمعجم يخضع لأبسط التحولات التي تقع في الوسط الاجتماعي .

2-1- مفهوم اللسانيات الاجتماعية :

عرفت اللسانيات عبر تاريخها عدة محطات معرفية في دراساتها اللغوية ،و الملفت للانتباه هو ارتباطها دوما بالمجتمع في كل محطة تخطو فيها في تطوير نظرياتها ، وهذا يدل دلالة قوية على أهمية وارتباط اللغة بالمجتمع ودوره الفعال في الدراسة الألسنية ،لهذا يستلزم توضيح أهم ما جادت به الدراسات في علم اللغة الاجتماعي .إذ تعد اللسانيات الاجتماعية (sociolinguistique) أو علم اللغة الاجتماعي (linguistiquesociale) فرعا من فروع اللسانيات التطبيقية،وثمرة الالتقاء بين علم اللغة والاجتماع . وقد تعددت مفاهيم هذا العلم بين العلماء ،حيث نجد من توسع في طرح مفهوم له ،وهناك من اقتصر على أبسط تعاريفه وسنذكر فيما يلي أهم التعريفات : يعرفه محمد الخولي في معجمه "علم اللغة النظري" بأنه:"فرع من علم اللغة التطبيقي يدرس مشكلات اللهجات الجغرافية واللهجات الاجتماعية والازدواج اللغوي والتأثير المتبادل بين اللغة والمجتمع "[16]في حين يعرفه (هدسون) صاحب كتاب "علم اللغة الاجتماعي" هذا العلم بأنه :"دراسة اللغة في علاقاتها بالمجتمع"[17] ، وهو أشمل وأعم تعريف في ما نرى ؛ وعليه نستخلص أن علم اللغة الاجتماعي هو العلم الذي يحاول دراسة الظواهر اللسانية ، وربطها بالظواهر الاجتماعية ، ومختلف التبادلات والتفاعلات بينهما ، معتمدا على مبادئ كل من علم اللغة ،وعلم الاجتماع . يقابل مصطلح اللسانيات الاجتماعية في علم اللغة عدة مرادفات نذكر منها :اجتماعية اللغة ،اللسانية الإناسية، الجغرافيا اللسانية،علم اللغة الاجتماعي.

تهدف اللسانيات الاجتماعية إلى دراسة اللغة في ضوء المقاربة السوسيولوجيا بربط اللغة بسياقها التواصلي والتفاعلي و التلفظي . معناه دراسة اللغة المستعملة من قبل المجموعات اللغوية أي اللغة في واقعها اليومي ومحاولة الكشف عن القوانين والمعايير الاجتماعية التي توضح السلوك اللغوي لأفراد المجتمع ،بالإضافة إلى تقديم وصف منظم للتنوع اللغوي واللساني وعلاقته بالتنوع الاجتماعي "[18]والجدير بالذكر أن علم اللغة الاجتماعي ذو أهمية كبيرة " فهو يلقي الضوء على السلوك الاجتماعي الذي يظهر واضحا في المجتمع اللغوي، والبحث في مدى تأثر النظام اللغوي بالنظم الاجتماعية، كما يهتم أيضا بدراسة التبادلات والتغيرات اللسانية للغة أو لهجة ما[19] نفهم من ذلك أن اللسانيات الاجتماعية علم تطبيقي يدرس علاقة اللغة في جميع مستوياتها بالمجتمع ، ومختلف الظواهر اللغوية والاجتماعية كالاستعمال ،التنوع ،الازدواج اللغوي، والتغير اللغوي، والنظر في الأسباب الاجتماعية التي تحيط بالحدث اللغوي، بالإضافة إلى دراسة اللهجات ومدى التفاعل بين كل من اللغة والمجتمع وتأثير كل منهما في الآخر.

2-2- التفسير اللغوي الاجتماعي في كتاب المفردات:

لقد طبق الراغب الأصفهاني التفسير اللغوي الاجتماعي في إيضاح دلالة الألفاظ القرآنية، فتناول الكلمة ودلالتها في البيئة الاجتماعية المستعملة فيه ، وسنوضح ذلك من خلال إيراد أمثلة مختلفة ، تندرج تحت عناوين فرعية ، وهي أولا :الدلالة الاجتماعية ،ثانيا الثنائية اللغوية ، ثالثا الازدواجية اللغوية ،وأخيرا التعدد اللغوي.

2-2-1الدلالة الاجتماعية:

إن إثبات شرعية حضور التفسير السوسيو- لساني في المعجم أمر حتمي، لأنه لا يوجد مجال للشك في اتصال اللغة بالمجتمع،"فاللغة ظاهرة اجتماعية لا يمكن النظر إليها أو دراستها بمعزل عن محيطها الاجتماعي والثقافي للوقوف على طبيعة العلاقات الجدلية بينها وبين الحياة الاجتماعية التي تنتمي إليها في تواصلها، واتصالها، والتعبير عن أغراضها وحاجاتها."[20] هذا الاتصال هو الذي يعطي ألفاظ اللغة دلالات مستقلة تحتم على المعجمي البحث عنها، وقد أدرك الراغب هذه الأهمية مما جعله يلجأ إليه ، ومن أمثلته ما أورده تفسير مادة [**البروقة**]. يعرف الأصفهاني هذه اللفظة [**البروقة**]. بقوله: "شجرة تخضر إذا رأت السحاب

، وهي التي يقال فيها أشكر من بروقة "[21]؛ فهذه الدلالة الحاصلة في لفظ [البروقة] دلالة اجتماعية ، مستقلة عن معنى البرق الدال على لمعان السحاب .

في حين يفسر مادة [نفر] في قوله :"النفر الانزعاج عن الشيء وإلى الشيء ،كالفزع إلى الشيء ،وعن الشيء ،يقال نفرعن الشيء نفورا،وتقول العرب نفر فلان إذا فضل في المنافرة ،وتقول العرب نفر فلان إذا سمي باسم يزعمون أن الشيطان ينفر عنه" [22]

[حنف]:"الحنف هو ميل عن الضلال إلى الاستقامة ...و تحنف فلان أي تحرى طريق الاستقامة،وسمت العرب كل من حج أو اختتن حنيفا تنبيها أنه على دين إبراهيم عليه السلام."[23] ، ففي تعريفه هنا ركز على استعمال المجتمع للفظة .

كما راعى أيضا في معجمه طبقات الناس واختلاف تخصصاتهم فحوى معجمه معاني المفردات بحسب كل تخصص من فقه ، وعقيدة ونحو ، ومن أمثلة ذلك نجد لفظة [عدا]: وقد عدا طوره: تجاوزه، وتعدّى إلى غيره، ومنه التعدي في الفعل. وتعدية الفعل في النحو هو تجاوز معنى الفعل من الفاعل إلى المفعول"[24] فقد نص هنا على أن تعدية الفعل هي مفهوم أو اصطلاح نحوي، فيكون إيراده من باب التوسع والإلمام ، وهذا تعريف يخص النحويين. في مادة "قضى" قوله: "القضاء: فصل الأمر قولا كان ذلك أو فعلا ، وكل واحد منهما على وجهين: إلهي وبشري"[25]، وهذا تعريف يعتمده الفقهاء. ومن المواد التي فسرها أيضا تفسيرا فقهيا [صيد] فقد عرف لنا الصيد ،وذكر لنا المسألة الفقهية المتعلقة بقتل بعض الدواب التي تؤكل" الصيد : مصدر صاد، وهو تناول ما يظفر به مما كان ممتنعا، وفي الشرع : تناول الحيوانات الممتنعة ما لم يكن مملوكا، والمتناول منه ما كان حلالا، وقد يسمى المصيد صيدا بقوله تعالى:﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ ۖ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ (المائدة /96) ، ﴿فأُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ﴾ ؛ أي اصطياد ما في البحر، وأما قوله تعالى في السورة نفسها : ﴿ لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ﴾ (الآية 95)، وقوله تعالى : ﴿وإِذَا حَلَلْتُمْ فاصطادوا﴾ (المائدة/2) وقوله تعالى:﴿غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۗ ﴾ ، فإن الصيد في هذه المواضع مختص بما يؤكل لحمه فيما قال الفقهاء"[26] . فنحن أثناء دراستنا للمفردات نحاول تفسير مجتمع معين، وهنا الراغب أعطى تفسيرا للمفردة بحسب التخصص.

[جزء]: حيث يقول: "جزء الشيء: ما يتقوم به جملته، كأجزاء السفينة وأجزاء البيت"[27]، فهذا تعريف له صلة بعلم المنطق . كما أنه يقوم بإيضاح دلالة الكلمة ، بحسب استعمالاتها المختلفة في البيئة الاجتماعية ، "حيث أن كل محيط اجتماعي أو مستوى ثقافي يستعمل نفس الكلمة بدلالات مختلفة، نمثل لذلك بالمدخل المعجمي [كفر] الذي يرى الراغب أن مدلوله يتغير من سياق ثقافي إلى آخر، معتبرا معناه في المحيط الزراعي يختلف عن معناه في المحيط الديني والمحيط اللغوي"[28] ،فقال موضحا ذلك [الكفر] في اللغة: ستر الشيء، ووصف الليل بالكافر لستره الأشخاص، والزارع لستره البذور في الأرض قال الله تعالى: ﴿ وَلا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ﴾ ؛أي جامد له وسائر، والكافر على الإطلاق متعارف فيمن يجحد الوحدانية والنبوة والشريعة.."[29] فهذه اللفظة كما هو ملاحظ اختلف معناها بحسب اختلافات المجالات الثقافية في المجتمع.

نلاحظ مما سبق أن للمفردات وظيفة الحفاظ على الفوارق بين الطوائف الاجتماعية، فاللغة سلوك اجتماعي يرتبط حتما بالمجتمع وشرائحه الاجتماعية المختلفة، وهو ما يدرسه علم اللغة الاجتماعي كما بينا سابقا ، كما أنه يهتم أيضا بالتعدد اللغوي والثنائية والازدواجية اللغوية

2-2-2-الثنائية اللغوية:

يسمى بتعدد المعنى الواحد للفظة الواحدة بحس الاستعمال اللهجي أو اللغوي لها، ويمكننا تمثيل ذلك في اللغة بالمشترك اللفظي ، ولقد اعتمده الراغب في تفسيره كآلية للشرح، ونمثل لذلك : ما جاء في تفسير﴿أو إطعام في يوم ذي مسغبة﴾ أن مسغبة جاءت أو اشتقت من السغب، وهو الجوع مع التعب ، وقد قيل في العطش مع التعب يقال: سغب يسغب سغبا وسغويا، وهو ساغب وسغبان ، نحو عطشان"[30]، ﴿وقوموا لله قانتين﴾ قيل: خاضعون، وقيل طائعون وقيل: ساكتون، ولم يعن به كل السكون"[31] ، إن هذا الاختلاف في دلالة الكلمة ناتج عن ما هو موجود في القبيلة من أمور اجتماعية ، سواء أكانت عادات أم تقاليد أم مواقف كلامية أم اختلاف في أسماء المأكل والملبس والآلة وغير ذلك، مما جعل القبيلة تسمي الشيء باسم يختلف عن القبيلة الأخرى.

2-2-3-الازدواجية اللغوية:

من أقدم الظواهر اللغوية في اللغة العربية ، بل ربما في معظم لغات العالم ، وإن كان ظهورها في العربية أوضح، ولعل من ينظر في اللغة العربية منذ العربية المدونة من شعر امرئ القيس منذ ما يقرب من مئة وخمسين سنة قبل بعثة محمد صلى الله عليه وسلم ، يجد أن الازدواجية اللغوية كانت ماثلة ولكنها كانت على نطاق ضيق جدا تتجلى واضحة في المناسبات الكبرى كسوق عكاظ ، الذي كان يأتي إليه الشاعر ينسج قصائده التي يريد أن يبارز بها خصمه باللغة المشتركة وليس بلهجة قبيلته، فتكون بذلك ما يسمى الازدواجية اللغوية، ولقد ضمّن الراغب كتابه الأشعار مستشهدا على معاني الكلمة ومن المتعارف عليه أن الشعر نتاج ثقافي يدل على عادات وتقاليد تلك البيئة .

الاستشهاد على مفردات القرآن بالشعر العربي كثيرة عند الراغب نورد منها: [**خذل**]:"الخذلان ترك من يظن أن ينصر نصرته ،ولذلك قيل خذلت الوحشية ولدها،وتخاذلت رحلا فلان ومنه قول الأعشى :[32]

بين مغلوب تليل خده وخذول الرجل من غير كسيح"

(نصف):"نصف الشيء شطره ،ونصف النهار وانتصف بلغ نصفه ومقنعة النساء كأنها نصف من المقنعة الكبيرة قال الشاعر[33].

سقط النصيف ولم ترد إسقاطه فتناولته واتقتنا باليد"

2-2-4-التعدد اللغوي :

يتمثل التعدد اللغوي في اختلاف القراءات للمفردة الواحدة، الذي سببه البيئة الاجتماعية التي تحدد وجهة كل قارئ، إذ إن اللسان مرتبط بتلك البيئة بشقيها الطبيعي والاجتماعي ، ينطلق معبرا عما يحيط به من تلك الظواهر البيئية التي تنعكس على تفكير الناطق ومشاعره، كما أن للعوامل الجغرافية تأثير شديد على تغير أصوات اللغة، فسكان البادية يغلب على لغتهم طابع الشدة والغلظة، أي يميلون إلى مقياس اللين الخلفي المسمى بالضمة فهو مظهر من مظاهر الخشونة البدوية، في حين سكان الحضر تمتاز أصواتهم بالليونة والرخاوة أي يميلون إلى الكسر. في لفظة "فصُرهن" في قوله تعالى: ﴿فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ﴾،حيث يبين معنى قراءة "صرهن"أي أمّلهن الصور، من الميل : وقيل: قطعهن

صورة صورة، ومعنى قراءة: "صُرهنّ" أي: صح بهنّ، وبين أن ذلك لغتان" يقال صِرته وصُرته[34]، فهنا يبين اختلاف معنى اللفظة باختلاف القراءة.

"معاجزين "[35] في قوله تعالى في سورة الحج /51: ﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ﴾ بين أنها قرئت "معجزين" و"معاجزين" وفسر معنى اللفظة في كل قراءة، حيث قال: "معاجزين" قيل معناه ظانين ومقدرين أنهم يعجزوننا، لأنهم حسبوا أن لا بعث ولا نشوز فيكون ثواب وعقاب"، ومعجزين ينسبون إلى العجز من تبع النبي صلى الله عليه وسلم، وقيل معناه: مثبطين، أي: يثبطون الناس عن النبي صلى الله عليه وسلم.

ووجه قراءة سلام في قوله تعالى في سورة الذاريات /25 : ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنكَرُونَ﴾ قال فإنما رفع الثاني، لأن الرفع في باب الدعاء، أبلغ، فكأنه تحرى في باب الأدب المأمور به في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾ (النساء /25) ، ومن قرأ [سلم] فلأن السلام لما كان يقتضي السلم ، وكان إبراهيم عليه السلام أوجس منهم خيفة، فلما رآهم مسلمين تصور من تسليمهم أنهم قد بذلوا سلما، فقال في جوابهم: [سلم]، تنبيها أن ذلك من جهتي لكم كما حصل من جهتكم لي.[36]

إن هذا الاختلاف النحوي أدى إلى اختلاف الدلالات المستفادة من هذه المفردة، وهذا الاختلاف يشخص الملامح الاجتماعية والثقافية بوصفها عاملا فاعلا في القول بهذه الدلالة أو تلك، فالاختلاف النحوي الدلالي نتاج اختلاف اجتماعي وثقافي تدفع إليه رؤى ومفاهيم لغوية واجتماعية وثقافية ملحوظة في أغلب الأحيان.

2-2-5-السياسة اللغوية:

السياسة اللغوية في المفردات: تضمنت سياسته اللغوية، التخطيط الذي أفصح عنه في مقدمته من خلال حديثه عن منهجيته المعتمدة في المعجم، وطريقة ترتيبه، وتصنيفه للمعاني والدلالات، بحيث سهل للمطلع على كتابه العثور على بغيته –المفردة- بسهولة ويسر.

4- الخاتمة:

- إن اهتمام الراغب الأصفهاني بدلالة الألفاظ القرآنية وبحثه لمعانيها اللغوية والاجتماعية، خير دليل على إلزامية بعث الخطاب القرآني في الوسط الاجتماعي، والإفادة في فهم العربية، وقد خرجت الورقة البحثية بالنتائج الآتية:

1-تعد كتب غريب القرآن من أقدم كتب التفسير اللغوي التي تصدت لكشف معاني النص القرآني.إذ حظي علم غريب القرآن باهتمام العلماء منذ عصر الصحابة إلى يومنا هذا، وتنوعت مناهج المؤلفين في التأليف فيه.

2- إن الدلالة الاجتماعية في تفسير غريب القرآن، هي الفيصل في تحديد المعنى ، فالكلمة تتغير دلالتها حسب السياق الاجتماعي ،كما أنه قد يستصعب فهمها في قبيلة دون غيرها.

3- إن استعمال التفسير اللغوي الاجتماعي في كتاب المفردات ينم عن عبقرية صاحبه، ورؤيته لمدى أهمية البعد الاجتماعي في الكشف عن معاني ألفاظ القرآن الكريم.

4- علم اللغة الاجتماعي يلقي الضوء على السلوك الاجتماعي الذي يظهر واضحا في المجتمع اللغوي، كما يهتم بمختلف الظواهر اللغوية والاجتماعية، كالاستعمال والتنوع والازدواج ، والنظر في الأسباب الاجتماعية التي تحيط بالحدث اللغوي، وهو ما جعل مؤلفي معاجم غريب القرآن يعتمدونه في شرح ألفاظ الغريب، فالغريب راجع إلى غموض المعنى الناتج عن قلة الاستعمال في قوم، والثاني اختصاص استعمال كلمة عند قوم دون غيرهم .

التوصيات:

في نهاية هذه الورقة البحثية أصوغ بعض التوصيات والمقترحات وهي:

-كتاب المفردات في غريب القرآن، موسوعة علمية حوت علوما كثيرة، فأوصي الباحثين باستخراج هذه العلوم ودراستها دراسة تطبيقية

- الاهتمام بمعاجم غريب القرآن، وإخراج كنوزها، وخاصة تلك التي لها علاقة بعلوم اللغة، ومحاولة الاستفادة في إثراء الدرس اللغوي.

-دراسة علوم اللغة في معاجم غريب القرآن، بأن نجعل هذه الأخيرة هي المدونة في البحوث الأكاديمية والرسائل الجامعية، وإقامة الملتقيات والأيام الدراسية ذات الصلة بهذا الموضوع.

الهوامش:

1- الزمخشري جار الله،(1998م) أساس البلاغة ، تح: محد باسل عيون السود، ج1، ط1،دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص697.

2-ابن منظور جمال الدين،(د.ت)، لسان العرب، مج 1، دار صادر، بيروت.،ص640.

3-الأندلسي أثير الدين أبي حيان، (1926م)،تحفة الأريب بما في القرآن من غريب، مطبعة الإخلاص، حماه، ص3.

4- الشهري عبد الرحمن، (2011م)، "جهود العلماء في غريب القرآن"، جامعة الملك سعود المملكة العربية السعودية، ضمن أشغال المؤتمر العالمي الأول للباحثين في القرآن الكريم وعلومه في موضوع جهود الأمة في خدمة القرآن الكريم وعلومه، ص479.
5-الرافعي مصطفى صادق، (1973م)، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ط9، ،دار الكتاب العربي ،بيروت،ص71.
6- كحالة عمر رضا،(1993م) معجم المؤلفين تراجم مصنّفي الكتب العربية، ط1،ج2،مؤسسة الرسالة بيروت ،ص642.
7- نويهض عادل(1988م)، معجم المفسرين من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، ط3، مؤسسة نويهض الثقافية،بيروت،لبنان، ص157.
8- الزركلي خير الدين،(2020م) الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ط15،ج2،دارالعلم للملايين ،بيروت ،لبنان ،ص 255.
9- الأصفهاني الراغب (1997م)،المفردات في غريب القرآن، تح: مركز الدراسات والبحوث بمكتبة نزار مصطفى الباز، مكتبة نزار مصطفى الباز،الرياض، السعودية، ص 4.
10-المصدر نفسه، ص5.
11- ينظر: موسى إبراهيم لإبراهيم (1996م)،بحوث منهجية في علوم القرآن الكريم، ط2، دار عمان، عمان ،ص 248.
12- ينظر: فرحات أحمد بن حسن(2000م)، معاجم مفردات القرآن (موازنات ومقترحات)،مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، السعودية، ص :20-22-24-25.
13- المغيلي خدير ،(20009م)، الدلالة عند الراغب الأصفهاني من خلال كتابه المفردات في غريب القرآن ،(أطروحة دكتوراه)،إشراف :صفية مطهري ،قسم اللغة العربية وآدابها ،كلية الآداب واللغات والفنون ، جامعة وهران ،الجزائر، ص 24.
14- فرحات أحمد بن حسن ،معاجم مفردات القرآن (موازنات ومقترحات)،ص18.
15-محمد بسيوني غزالة نادية،(2010م)،أصول التفسير عند ابن عباس رضي الله عنهما في ضوء الدرس اللغوي القديم والحديث، مكتبة الآداب، القاهرة،ص241م.
16- الخولي محمد علي،(1998م) معجم علم اللغة النظري.مكتبة لبنان.لبنان، ص261.
17- هدسون علم اللغة الاجتماعي،(1990م) .عالم الكتب .القاهرة، ص12.
18-حمداوي جميل(2015م)، اللسانيات الاجتماعية ، شبكة الألوكة،ت 15-04-2023،09.00صباحا،https://www.alukah.net/literature_language/0/88751/ ص9.
19-بيرش رضا،(2012م) محاضرات في اللسانيات النظرية والتطبيقية المفهوم والخصائص الفروع، ط1، دار المعارف الجزائرية، الجزائر،ص78.
20-هادي نهر،(2008م)، التفسير اللغوي الاجتماعي للقراءات القرآنية،، عالم الكتب الحديث، عمان، الأردن، ص17.
21- الأصفهاني،المصدر السابق، ص55.
22-المصدر نفسه،ص 647-648..
23-المصدر نفسه، ص176.

24-المصدر نفسه، ص425.
25-المصدر نفسه، 525.
26-المصدر نفسه، ص378.
27-المصدر نفسه، ص120.
28-المغيلي، ص265.
29-الأصفهاني ، المصدر السابق،ص559.
30-المصدر نفسه، ص307.
31-المصدر نفسه، 534.
32-المصدر نفسه، ص191.
33-المصدر نفسه، ص640.
34-المصدر نفسه، ص379.
35-المصدر نفسه، ص319.
36-المصدر نفسه، ص316.

قائمة المراجع:

-القرآن الكريم
- المؤلفات:
1-الأصفهاني الراغب، المفردات في غريب القرآن(1997م)،تح: مركز الدراسات والبحوث بمكتبة نزار مصطفى الباز، مكتبة نزار مصطفى الباز،السعودية.
2-الأندلسي أثير الدين أبي حيان،(1926م)، تحفة الأريب بما في القرآن من غريب، مطبعة الإخلاص، حماه.
3-بيرش رضا،(2012م) محاضرات في اللسانيات النظرية والتطبيقية المفهوم والخصائص والفروع، ط1، دار المعارف الجزائرية، الجزائر.
4-حمداوي جميل، اللسانيات الاجتماعية ، شبكة الألوكة.
5-الخولي محمد علي، (1998م)معجم علم اللغة النظري.مكتبة لبنان.لبنان.
6- الرافعي، مصطفى صادق، (1973م)، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ط9، ،دار الكتاب العربي ،بيروت.
7-الزركلي خير الدين،(2020م) الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين ،ج2،، ط15 دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان.
8-الزمخشري جار الله،(1998م) أساس البلاغة ، تح: محد باسل عيون السود، ج1، ط1،دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
9-فرحات أحمد بن حسن(2000م)، معاجم مفردات القرآن (موازنات ومقترحات)،مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، السعودية
10-كحالة عمر رضا،(1993م) معجم المؤلفين تراجم مصنِّفي الكتب العربية ،ج2،ط1،مؤسسة الرسالة، بيروت ، 1993م.

11- محمد بسيوني غزالة نادية،(2010م)،أصول التفسير عند ابن عباس رضي الله عنهما في ضوء الدرس اللغوي القديم والحديث، مكتبة الآداب، القاهرة.
12- المغيلي خدير،(2016م)علم الدلالة العربي بحث في ماهية الدلالة عند الراغب الأصفهاني (ت425ه) من خلال كتاب المفردات، ط1،دار الأيام للنشر والتوزيع،، عمان، الأردن.
13-موسى إبراهيم لإبراهيم، (1996م)، بحوث منهجية في علوم القرآن الكريم، ط2، دار عمان، عمان.
14- ابن منظور جمال الدين(د.ت)، لسان العرب، مج 1، دار صادر، بيروت.
15-نويهض عادل،معجم المفسرين من صدرالإسلام حتى العصر الحاضر، ط3، مؤسسة نويهض الثقافية.
16-هادي نهر،(2008م)، التفسير اللغوي الاجتماعي للقراءات القرآنية،، عالم الكتب الحديث، عمان، الأردن،
17- هدسون،(1990م)،علم اللغة الاجتماعي ، تر :محمودعياد،مرأبوزيد،عالم الكتب،القاهرة،ط2.

- ثانيا: الأطروحات:

1- المغيلي خدير، (2009-2010م)،الدلالة عند الراغب الأصفهاني من خلال كتابه المفردات في غريب القرآن ،(أطروحة دكتوراه)،قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات والفنون ، جامعة وهران، الجزائر.

ثالثا: المداخلات:

1- الشهري عبد الرحمن(2011م)، "جهود العلماء في غريب القرآن"، أشغال المؤتمر العالمي الأول للباحثين في القرآن الكريم وعلومه في موضوع جهود الأمة في خدمة القرآن الكريم وعلومه، جامعة الملك سعود المملكة العربية السعودية.